حرب تشرين والتي تكاد تصبح نكسة في مسار النضال العربي الذي خرج من الحرب وهو في اوج انتصاراته ، هذه الهجمة هدفها الحقيقي اعادة ترتيب اوضاع المنطقة العربية بما يخدم استمرار النفوذ الاميركي في المرحلة القادمة ، وهو امر يتناقض جذريا مع بقاء الحالة الثورية الفلسطينية ويتناقض كذلك مع طموحاتها ، حتى المرحلية منها ، وتفسيراتها للحقوق الفلسطينية . وهكذا فان الاستخلاص الوحيد هنا هو ان اجهاض الحالة الثورية الفلسطينية يصبح احدى المهام الرئيسية في استراتيجية معسكر العدو التي تنهج ضمن مسارين اضعاف صاحب الحق وتقزيم الحق نفسه. وخلال الشهر الفائت ظهرت بعض الملامح التكتيكية لهذا المسار في المحور الاميركي — الاسرائيلي ، يمكن ان ترصد كما يلي :

ان اقوى عناصر المعادلة الفلسطينية ان الهوية « الكيانية » الفلسطينية توحدت مع الهوية النضالية الفلسطينية واصبحتا وجهين لعملة واحدة (عبر عنها احيانا بكل فلسطيني فدائي ، كل فلسطيني مخرب) .

وقد نتج ذلك عن حقيقة واحدة هي التحام المقاتل الفلسطيني بجماهيره الفلسطينية العريضة والتفاف هذه الجماهير حول المقاتل الفلسطيني وتمسكها به . وقد أعطت هذه الحقيقة مسألة التمثيل الفلسطيني معناها النضالي بحيث أصبحت المقاومة الفلسطينية هي المعبرة عن ارادة الفلسطينيين ، بعد ان تجلت هذه الارادة — من منظور آخر — بالمقاومة نفسها . اذن فان فصم الالتحام بين المقاومة وجماهيرها الفلسطينية يعتبر **غرضا** تجدر المراهنة عليه ضمن المحور الاميركي — الاسرائيلي ، لتحقيق **هدف** أبعد من ذلك هو تجميد الرغائبية الاسرائيلية بألا تكون منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة للفلسطينيين . (رابين « حكم » في مؤتمر الاممية الاشتراكية بأن منظمات « الارهاب » لا تمثل الفلسطينيين ، وبيرس « أكد » لمجلة تايم ان منظمة التحرير الفلسطينية لا تمثل الفلسطينيين فهي مجموعة صغيرة فرضت نفسها على الشعب الفلسطيني (ر.أ.ا. ٧/١) . ان محاولة فصم هذا الالتحام بين المقاومة وجماهيرها اتخذت لها أكثر من شكل أبرزها «الاقناع الدموي» لسكان المخيمات بالتخلي عن المقاتل الفلسطيني .

وكان ابرز ملامح هذا « الاقناع » في الشهر الماضي قصف مخيمات الفلسطينيين (في ٦/٢٠ الغارات الابادية على مخيمات عين الحلوة والبرج الشمالي والرشيدية) في محاولة واضحة لعزل المقاتل الفلسطيني عن صفوف الجماهير وبذلك تتحول المقاومة الى مجرد عصابات مسلحة خارجة عن حماية الجماهير ومنسلخة عنها فتسهل تصفيتها ، او نزع الصفة **التمثيلية النضالية** عنها . ويمكن استكمال صورة « العصابات المطاردة » هذه المكروهة المعزولة غير ذات الجذور ، في تأليب الجماهير العربية على المقاومة ووضع مصالحها في تناقض مع وجود المقاومة نفسه . في ٦/١٨ اغارت ٣٨ طائرة اسرائيلية على قرى الجنوب اللبناني ، ايضا في عملية « اقناع دموي » بأن الثمن الذي يدفعه المواطن العربي مقابل رضاه بوجود المقاومة الى جانب بيته او في بيته هو ابنه او زوجه او والده . وفي ٧/٨ قامت الضفادع الاسرائيلية بنسف زوارق الصيادين في بعض موانىء الصيد في جنوب لبنان في عملية « اقناع اقتصادي » هذه المرة بأن مصلحة المواطن العربي هي ان يمتنع عن منح حمايته لرجال المقاومة ، بل أكثر من ذلك بأن يحاصرهم ويعزلهم . وبطبيعة الحال فان « خط » الدول العربية المعنية هنا على اتخاذ اجراءات ضد حركة المقاومة تدخل ضمن أبعاد الصورة .

ان التنسيق الاميركي — الاسرائيلي هنا واضح، وكان دليله المعلن ما ورد في البيان الذي صدر في ٦/١٧ عن محادثات نيكسون في اسرائيل ، فقد نص البيان على ان الطرفين « اتفقا على ان الدول التي عاشت في سلام يجب ان تقيم علاقات تنسجم مع مبادىء ميثاق الامم المتحدة ومبادىء القانون الدولي الذي ينص على **ان من واجب كل دولة ان تمتنع عن تشجيع تنظيم قوات غير نظامية او جماعات مسلحة من ضمنها مرتزقة بهدف التسلل الى أراضي دولة اخرى** » . وكان هذا البيان ضوءا أخضر امام اسرائيل مارست بدءا من اليوم التالي لصدوره قصفها قرى الجنوب اللبناني ومخيمات الفلسطينيين .

باجمال فان القصد هنا واضح هو اضعاف القدرة الفلسطينية عن طريق عزلها عن الجماهير ومحاصرتها . ومن اسف اننا اسهمنا ، بغير وعي ،